وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

EISSN : 2710-8643

ISSN : 2602-7585

إحالات
IHALAT

مجلة أكاديمية دولية نصف سنوية مُحكّمة

المجلّد 03 - العدد 02 - ديسمبر 2021

المركز الجامعي غليزان

معهد الآداب واللغات

لوحة الغلاف من تصميم الفنّان

أحمد بوحفص

ISSN: 2602 – 7585

EISSN: 2710 – 8643

الإيداع القانوني: ديسمبر 2021

مجلّة أكاديميّة دوليّة نصف سنويّة مُحكَّمة

تصدر عن معهد الآداب واللّغات بالمركز الجامعي مغنيَّة بالجزائر

تُعنى بنشر الدّراسات اللّغوية والأدبيّة والنّقدية

باللّغة العربيّة والإنجليزيّة والفرنسيّة

المُجلَّد 03 / العدد 02

ديسمبر 2021

تُرسَل المقالات عبر حساب المجلّة في المنصّة الجزائريّة للمجلّات العلميّة:

https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/587

تُوجَّه المُراسَلات إلى رئيس التّحرير عبر بريد المجلّة:

adabmajala18@yahoo.com

المدير الشّرفي للمجلّة

أ. د. مراد نعوم

مدير المركز الجامعي مغنيّة – الجزائر

مدير المجلّة

د. نورية بن عدّي

مديرة معهد الآداب واللّغات – المركز الجامعي مغنيّة – الجزائر

رئيس التّحرير

أ. د. سيدي مُحَمَّد بن مالك

المركز الجامعي مغنيّة – الجزائر

فريق التّحرير

أ. د. يوسف إسكندر	جامعة بغداد – العراق	مساعد مُحرِّر
أ. د. عبد الحقّ فواز	الجامعة الهاشميّة – الزّرقاء – الأردن	مساعد مُحرِّر
أ. د. عبد الحقّ بلعابد	جامعة قطر	مساعد مُحرِّر
أ. د. عماد غنوم	الجامعة اللّبنانية – لبنان	مساعد مُحرِّر
أ. د. نادر إدلبي	جامعة كوجه ألي – تركيا	مساعد مُحرِّر
أ. د. سالمة العمامي	جامعة طبرق – ليبيا	مساعد مُحرِّر
أ. د. عواطف عبد المنعم	جامعة إفريقيا العالميّة – الخرطوم – السّودان	مساعد مُحرِّر
أ. د. عبد الله بريمي	جامعة الرّشيدية – المغرب	مساعد مُحرِّر
أ. د. مُحَمَّد شوقي الزّين	جامعة تلمسان – الجزائر	مساعد مُحرِّر
أ. د. مختار زواوي	جامعة سيدي بلعباس – الجزائر	مساعد مُحرِّر
أ. د. عزّ الدّين جلاوجي	جامعة برج بوعريريج – الجزائر	مساعد مُحرِّر
أ. د. حاج أحمد الصّديق	جامعة أدرار – الجزائر	مساعد مُحرِّر
أ. د. سعيد تومي	جامعة البليدة 2 – الجزائر	مساعد مُحرِّر

أ. د. مُحَمَّد خاين	جامعة غليزان – الجزائر	مساعد مُحرِّر
أ. د. نادية بوشفرة	جامعة مستغانم – الجزائر	مساعد مُحرِّر
أ. د. عبد القادر شريف حسني	جامعة تيارت – الجزائر	مساعد مُحرِّر
أ. د. عبد القادر رحماني	جامعة الجزائر 2 – الجزائر	مساعد مُحرِّر
أ. د. عبد الرّحمن بغداد	المركز الجامعي مغنيّة – الجزائر	مساعد مُحرِّر
أ. د. فاطمة صغير	المركز الجامعي مغنيّة – الجزائر	مساعد مُحرِّر
د. مجدي الأحمدي	جامعة تبوك – السّعودية	مساعد مُحرِّر
د. مُحَمَّد صالح حمراوي	المعهد العالي للعلوم الإنسانيّة – تونس	مساعد مُحرِّر
د. نصيرة شيادي	جامعة تلمسان – الجزائر	مساعد مُحرِّر
د. عبد الرّزاق علّا	جامعة عين تموشنت – الجزائر	مساعد مُحرِّر
د. غزلان هاشمي	جامعة سوق أهراس – الجزائر	مساعد مُحرِّر
د. سهيلة مريبعي	جامعة الجزائر 2 – الجزائر	مساعد مُحرِّر
د. أحلام بن الشّيخ	جامعة ورقلة – الجزائر	مساعد مُحرِّر
د. فتيحة بلحاجي	المركز الجامعي مغنيّة – الجزائر	مساعد مُحرِّر
د. وهيبة وهيب	المركز الجامعي مغنيّة – الجزائر	مساعد مُحرِّر
د. سمير زياني	المركز الجامعي مغنيّة – الجزائر	مساعد مُحرِّر
د. حنان رباحي	المركز الجامعي مغنيّة – الجزائر	مساعد مُحرِّر
د. مُحَمَّد بكاي	المركز الجامعي مغنيّة – الجزائر	مساعد مُحرِّر
د. عبد الصّمد عزوزي	المركز الجامعي مغنيّة – الجزائر	سكرتير التّحرير

فريق المُراجِعين لهذا العدد

أ. د. بشير عبد العالي [جامعة تلمسان – الجزائر]	أ. د. عبد الله بريمي [جامعة الرّشيدية – المغرب]
أ. د. هاجر مدقن [جامعة ورقلة – الجزائر]	أ. د. مختارية بن قبلية [جامعة مستغانم – الجزائر]
أ. د. عزّ الدّين حفّار [جامعة مستغانم – الجزائر]	أ. د. عبّاس العشريس [المركز الجامعي مغنيّة – الجزائر]
أ. د. عبد القادر بوشيبة [المركز الجامعي مغنيّة – الجزائر]	د. أمّ السّعد فوضيلي [جامعة المسيلة – الجزائر]
د. روفية بوغنوط [جامعة أمّ البواقي – الجزائر]	د. فاطمة الزّهراء زيبوش [جامعة الجزائر 2 – الجزائر]
د. فاتح بوزرى [جامعة الجزائر 2 – الجزائر]	د. الشيخ كبير [جامعة عين تموشنت – الجزائر]
د. عبد الحميد ختالة [جامعة خنشلة – الجزائر]	د. فطيمة الزّهرة عاشور [جامعة برج بوعريريج – الجزائر]
د. مُحَمَّد يزيد سالم [جامعة باتنة 1 – الجزائر]	د. حسيبة عدو [جامعة سعيدة – الجزائر]
د. حورية مرتاض [المركز الجامعي مغنيّة – الجزائر]	د. فوزية سرير عبد الله [جامعة البليدة 2 – الجزائر]
د. رقية جرموني [جامعة معسكر – الجزائر]	د. مُحَمَّد كوشنان [جامعة المدية – الجزائر]
د. لبنى أمال موس [جامعة تلمسان – الجزائر]	د. سعيد بن عامر [المركز الجامعي مغنيّة – الجزائر]
د. دليلة زغودي [المركز الجامعي مغنيّة – الجزائر]	د. نسيمة شمام [جامعة خنشلة – الجزائر]
د. نوال آقطي [جامعة بسكرة – الجزائر]	د. سماحية خضار [جامعة مستغانم – الجزائر]
د. نجية موس [المركز الجامعي مغنيّة – الجزائر]	د. ياسين بوراس [جامعة برج بوعريريج – الجزائر]
د. منى بشلم [المدرسة العليا للأساتذة بقسنطينة – الجزائر]	د. مُحَمَّد نجيب مرني صنديد [جامعة عين تموشنت – الجزائر]
د. صليحة بردي [جامعة خميس مليانة – الجزائر]	د. سليمة مسعودي [جامعة باتنة 1 – الجزائر]
د. عبد الله بن صفية [جامعة برج بوعريريج – الجزائر]	د. سعيد أبو خضر [جامعة آل البيت – الأردن]
د. زعيمة عراس [المركز الجامعي مغنيّة – الجزائر]	د. خديجة مرات [جامعة سطيف 2 – الجزائر]
د. عبد الله بن زهية [جامعة الجزائر 2 – الجزائر]	د. مدقدم مولاي [جامعة المدية – الجزائر]
د. عزّ الدّين بلمختار [المركز الجامعي مغنيّة – الجزائر]	د. عبد الرّحمن حمداني [جامعة خميس مليانة – الجزائر]
د. عبد الوهاب رمضان رجب السّيد [تركيا]	أ. لحسن عزّوز [جامعة بسكرة – الجزائر]
أ. عبد المجيد عامو [المركز الجامعي مغنيّة – الجزائر]	أ. إبراهيم الطّاهري [المغرب]
أ. مُحَمَّد أفيلال [المغرب]	أ. خيرة بن مهيدي [الجزائر]

قواعد النّشر في المجلّة

تُرحِّب مجلّة "إحالات" بنشر البحوث الأكاديمية الرّصينة في اللّغة والأدب والنّقد، باللّغة العربيّة والإنجليزيّة والفرنسيّة، مع الالتزام بقواعد النّشر الآتية:

1. ألّا يكون البحث قد سبق نشره، أو قُدِّم للنشر في مجلّة أو أيّ شكل من أشكال النّشر الأخرى.
2. ألّا يتجاوز عدد صفحات البحث 25 صفحة.
3. أن يُرفَق البحث المكتوب باللّغة العربية بملخّص في حدود (100) كلمة والكلمات المفاتيح في حدود (05) كلمات باللّغتيْن العربيّة والإنجليزيّة. وأن يُرفَق البحث المكتوب بإحدى اللّغتيْن الأجنبيتيْن (الإنجليزيّة أو الفرنسيّة) بملخّص في حدود (100) كلمة والكلمات المفاتيح في حدود (05) كلمات باللّغة الإنجليزيّة.
4. أن يُكتَب البحث باللّغة العربيّة بخطّ Sakkal Majalla قياس 16 في المتن و12 في الهامش، والبحث باللّغتيْن الإنجليزيّة والفرنسيّة بخطّ Times new roman قياس 12 في المتن و10 في الهامش.
5. أن تُفرَد للأشكال والجداول والصّور والرّسومات صفحات خاصّة داخل البحث نفسه.
6. أن تُكتَب الهوامش في آخر البحث آليًا.
7. أن يُراعى في كتابة الهوامش ترتيبُ البيانات، كما يلي: اسم المُؤلِّف ولقبه، وعنوان المؤلَّف، ودار النّشر، ومكان النّشر، وعدد الطّبعة، وتاريخ صدور الطّبعة، ورقم الصّفحة.
8. أن يُختَم البحث بقائمةٍ للمصادر والمراجع المعتمَدة.
9. أن يُراعى في كتابة قائمة المصادر والمراجع ترتيبُ البيانات، كما يلي: لقب المؤلِّف واسمه، وعنوان المؤلَّف، ودار النّشر، ومكان النّشر، وعدد الطّبعة، وتاريخ صدور الطّبعة.
10. أن يلتزم المُؤلِّف بإجراء التّعديلات التي يطلبها المُراجِعون في أجل أقصاه (15) يومًا.
11. أن يلتزم المُؤلِّف بإدراج المراجع في المنصّة الجزائرية للمجلّات العلميّة وإمضاء التّعهُّد في أجل أقصاه (07) أيّام، وذلك بعد قبول المقال للنّشر.

فهرس

افتتاحيّة العدد	رئيس التّحرير	08
أخبار البخلاء في تراث الأدباء	نصيرة عليوة	09
تجليات التفاعل الثقافي الجزائري المغاربي من خلال أعمال "ابن رشيق" الأدبية والنقدية	فريدة مقلاتي	28
التفاعل الثقافي بين حاضرتي تلمسان وفاس في العهد الموحدي	حنينة طبيش	47
الشعر المرقوم – جماليات كتابة الشعر	ايت العسري عادل	59
التحليل البنيوي التكويني للشعر في النقد الجزائري مختار حبار أنموذجا	مريم شويشي ومحمد وهاب	75
التناص وظلاله الثقافية – مقاربة تطبيقية في نماذج من المجموعة غير الكاملة لإسماعيل إبراهيم شتات "ابن الشاطئ"	فاطمة الزهراء عطية	87
النص الترسّلي ونظرية أنواع النصوص – إشكاليّة التصنيف	أمحمد شليم	103
الأدوات الحجاجية في النص الترسلي الرسالة الرستميّة أنموذجًا	نجاة بقاص	117
الهُوية ومُقاومة الآخر في رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" لعمارة لخوص	حمزة بوزيدي	135
الكتابة بالتفكيك في النقد العربي المعاصر قراءة في نماذج نقدية	بوبكر النية	146
كلمات من لهجة قبيلة بني عامر (الملالحة) بقطاع غزة دراسة دلالية	حسين عمر دراوشة	159
الاقتراض المعجميّ بين اللّغات نماذج من رحلة الكلمات العربيّة إلى اللّغة الإسبانية	وهيبة وهيب وخديجة عبد الرحيم	182
الاستعارة في الإقراء المدرسي للنصوص – نحو تصور جديد	محمد صوضان	194
مظاهر الازدواجيّة اللغويّة في الفايسبوك وأثرها في اللغة العربيّة – دراسة ميدانيّة لمجموعات فايسبوكيّة تواصليّة أنموذجا	زينب بشيري	208
La conception de l'expérience religieuse dans l'œuvre de Mircea Eliade, *Le sacré et le profane*	Hadjera DJEBARI	218

افتتاحيّة العدد

يمثّل العدد الجديد من مجلّة "**إحالات**" ثمرة جهود حثيثة قام بها أعضاء فريق التّحرير والمُراجِعون. وهي جهودٌ تُضاف إلى بذْل مُتقدِّم كان قد رعاه، باقتدار عظيم ومُكْنَة فريدة، رئيس التّحرير السّابق الدكتور مُحمَّد بكاي الذي تتشرَّف أسرة المجلّة بعضويته الدّائمة في هيئة تحريرها، مُنتفِعة من خبرته المُتبصِّرة ورأيه السّديد، ومُتمنيّة له، في الآن نفسه، التّوفيق كلّه في حياته العلميّة والأكاديميّة على السّواء.

ويظلّ الهدف الأسمى لهذه الجهود المتواصلة والمتراكمة، فضلًا عن الإسهام مع مجلّات أخرى في الارتقاء بالبحث العلمي في الجامعة الجزائريّة، هو تمكين المجلّة من بلوغ مقام المجلّات المصنّفة في الرّتبة (ج). وهو هدف مشروع، تصبو إليه المجلّة منذ تأسيسها، وتتحمّس له مع كلّ عدد تُصدِره، وتسعى إليه في كلّ طوْر من أطوار مسيرتها المحفوفة بالآمال والإكراهات معًا؛ فقد أثبتت "**إحالات**" أهليَّتها العلميّة بأن تكون في تلك المنزلة، وهي أهليّة يشهد عليها إقبال المُؤلّفين المُتعاظِم على النّشر فيها، ودأبها على الاستجابة للمعايير التّقنية المُعتمَدة من قِبَل اللّجنة العلميّة الوطنيّة المُصادِقة على المجلّات العلميّة في انتقاء مجلّات الصّنف (ج)، وحصولها، باستمرار، على مُعامِل التّأثير العربي لاتّحاد الجامعات العربيّة، وإتاحتها في قواعد معلومات رقميّة عربيّة مثل قاعدة معلومات دار المنظومة.

والحقّ، إنّ تلك الجهود ما كانت لتُثمِرَ هذا العمل الرّصين، وتفضيَ إلى ما أفضَت إليه من سمعة علميّة طيّبة توشَّحت بها "**إحالات**"؛ سمعة ما فتِئت تتضاعَف من عددٍ إلى آخر، لولا هذا الالتفات المُتزايد لجمهور المُؤلّفين والباحثين والقرّاء إلى موادها الثّرية والجادّة. وهو ما يحثّ أسرة مجلّة "**إحالات**" مُجتمِعة، من أعضاء فريق التّحرير ومُراجِعين، على الوفاء، أكثر، بالتزاماتها العلميّة والأخلاقيّة خدمة للعلم والعلماء؛ فالله نسأل الإخلاص في النّية، والإخلاص في العمل. والله من وراء القصْد.

رئيس التّحرير

أخبار البخلاء في تراث الأدباء

Stories of misers in the legacy of writers

نصيرة عليوة*

جامعة الدكتور يحي فارس – المدية – الجزائر

manessa.omriadh@gmail.com

تاريخ الإرسال	تاريخ القبول	تاريخ النشر
2021 / 08 / 20	2021 / 09 / 15	2021 / 12 / 01

مُلخص البحث

هذا البحث عبارة عن دراسة وصفية لظاهرة البخل في التراث العربي، من أجل الوقوف على نظرة بعض الأدباء وعلى رأسهم الجاحظ، وآخرين أمثال: البغدادي، والأبشيهي، والحنبلي والتوحيدي وابن عبد ربه، لمشاهير البخلاء في ذلك العصر والعصور التي سبقت؛ إذ تناول كل منهم هذه الظاهرة بأسلوب مميز وشيق؛ فزاوجوا بين الجد والهزل، وبين المتعة والسخرية، واعتبروا هذه الصفة داءً اجتماعيا ينبغي معالجته. وليس للجاحظ فقط فضل لفت الانتباه إلى تأثير هذه الظاهرة على المجتمع في مختلف جوانبه كما هو متداول، وإنما ساهم كل أولئك ممن ذكرنا سابقا في ذلك، من خلال ما جاؤوا به من نوادر وقصص؛ فرسموا صورة ساخرة مضحكة للبخلاء، تثير المُتعة، وفي الوقت نفسه تولد الاشمئزاز في النفوس.

الكلمات المفاتيح: قصص، البخلاء، ظاهرة، البخل، التراث العربي.

Abstract

This research is a descriptive study of the phenomenon of Stinginess in the Arab legacy, and the view of some writers, like Al-Jahiz, Al-Baghdadi, Al-Abshihi, Al-Hanbali, Al-Tawhidi and Ibn Abd Rabbo, of the famous misers in that era and the previous eras as each of them spoke about the phenomenon of Stinginess in a distinctive way, so they mixed between seriousness and fun and they considered Stinginess as a social disease that must be treated, and these writers explained to us the impact of this phenomenon on society in its various aspects, through the stories they brought.

keywords: Stories, misers, phenomenon, Stinginess, Arab legacy.

* الاسم واللقب والبريد الإلكتروني: نصيرة عليوة manessa.omriadh@gmail.com

1. مقدمة

من المعروف أن البخل صفة قبيحة وخُلق مذموم، نهى عنه ديننا الإسلامي الحنيف، كسائر الأديان والشرائع، ومن اتصف بهذا الخُلق ظلم نفسه والمحيطين به، إلاّ أنه في منظور فئة من الناس عين الصواب، اتخذته هذه الفئة شرعة لنفسها ومنهاجاً ودستوراً ينبغي اتباعه، حيث باتت مقتنعة به أيما اقتناع، حتى إنه أصبح سمة متأصلة في نفسية هذه الفئة من الناس، في مجتمعات متعددة وعبر عصور شتى، وانتشر وذاع في الأمم رغم اعتباره رذيلة من الرذائل، حيث إن الناس صاروا يتدارسونه في المساجد، ويتمتعون بذكره. لذا، كثر التأليف حول هذه الظاهرة ومن يتصف بها، وعلى رأس المؤلفين في البخل الجاحظ، الذي رسم لنا صورة كاريكاتيرية مضحكة لهذه الفئة، كما شغف الكتاب والأدباء من بعده بكتابة أخبار البخل والبخلاء العرب، ينقلون نوادرهم، ويدونون كل ما يصادفونه عنهم، مزاوجين في تلك الأخبار بين الجد والهزل، وبين المتعة والسخرية، مستغربين من تقتيرهم وشحهم وهم يعيشون في مجتمع إسلامي يحث على البذل والإنفاق، وينهى عن البخل والإمساك، يُفضل النفوس السخية والأكُفَ الندية؛ فإلى أي مدى وُفق القدماء في رسم صورة ساخرة مضحكة للبخيل، تثير المُتعة، وفي الوقت نفسه تولد الاشمئزاز في النفوس ؟ وما هو الهدف الأساس من سرد أخبار البخل والبخلاء: هل هو المُتعة أم المنفعة ؟ وهل يُراد بها الطرفة والدعابة أم إصلاح النفس وتعديل السلوك ؟

2. ظاهرة البخل (مفهومها والتأليف فيها)

1.2. مفهوم البخل

البخل في اللغة الشُح والتقتير والإمساك، وهو عكس الكرم والجود والسخاء. يعرفه ابن منظور في لسان العرب: "البَخْل والبُخْل والبخول: ضد الكرم، بَخَلَ يبخَلُ بُخلاً فهو باخلٌ، وبخيل والجمع بُخلاء"[1]. وجاء في التعريف الاصطلاحي للبخل أنه "ظاهرة اجتماعية ذات جذور نفسية تقترن غالباً برغبة تكديس المال، واختلف الرأي فيها، فمنهم من سماه اصطلاحاً، ومنهم من اعتبره شُحّاً، وتقتيراً وطمعاً في المال، الأمر الذي يجلب العار أحيانا"[2]. كما يمكن أن نقول عنه إنه عاطفة التعلق بالشيء المادي، والتمسك به وجعله محصورا يتراكم شيئا فشيئا. والفرق بين الشح والبخل: "الشح شدة الحرص على الشيء، والإحفاء بطلبه، والاستقصاء في تحصيله، وجشع النفس عليه، أما البخل منع إنفاقه بعد حصوله، والبخل ثمرة الشح، والشح يدعو إلى البخل، وهو متعلق بالنفس، أما البخل فيتصل بالامتناع عن أداء ما هو واجب للآخرين... والشح أقصى درجات البخل، وقد يجود البخيل أحيانا، أما الشحيح يبخل عن نفسه وعن زوجه وعن ولده... والتقتير فهو البذل أقل من المقدار اللازم، ويعد من المراحل الضعيفة للبخل"[3].

أما البخيل فهو "من لا يبخل على نفسه فقط، فقد استحق عنده اسم البخيل، ويستوجب الذم من لا يدع لنفسه هوى إلا ركبه، ولا حاجة إلا قضاها، ولا شهوة إلا ركبها، وبلغ فيها غايتها، وإنما يقع اسم البخيل إذا كان زاهداً في كل ما أوجب الشكر، ونوّه بالذكر وادّخر الأجر، وقد يُعلّق البخيل على نفسه من المؤن، ويلزمها من الكلف، ويتخذ من الجواري ومن الخدم والدواب... وربما كان شديد البُخل، شديد الحُبّ

للذكر، ويكون بخله أوشج، ولؤمه أقبح، فينفق أمواله، ويُتلف خزائنه، ولم يخرج كفافاً ولم ينج سليما"[4]. وعليه، هناك بخيل يجهل ما يفعله، ولا يدرك مدى حقارة ما يقوم به، وهناك بخيل يدرك ما يفعل، ويتعمد البُخل ويقصده، مع علمه بالعيب الموجود فيه.

2.2. البخل في الأدب العالمي

إن أنموذج البخيل في الأدب لم ينفرد به العرب فحسب، وإنما هو أنموذج إنساني عام نجده في مختلف الآداب العالمية. ليس هذا فحسب، بل كان الغرب سباقين لخلق هذا الأنموذج في الأدب؛ فشخصية البخيل قديمة جدا تمتد جذورها إلى الرومانيين الذين أخذوها بدورهم عن الإغريق وشعرائهم. وأول صورة للبخيل في هذا الأدب جسدتها شخصية "كريزوس" (Cresus) في الترهة الإغريقية (Myte)، بعده شخصية البخيل كريمل (Chremyle)، ثم جاء الشاعر الروماني بلوتيوس (Plotius) في مسرحيته المسماة "أولاريا" التي جاءت على لسان الإغريقي ميناندر وتناول فيها موضوع البخل، وقد تأثر بها موليير في مسرحيته الشهيرة "البخيل" حيث صور موليير شخصية "أرباغون" أنموذجا إنسانيا للبخيل لكنه تعمق في وصفه وتصويره أكثر بخلا، وتوالت المسرحيات في الأدب الأوروبي التي تحاكي شخصية البخيل من أشهرها مسرحية الشاعر الإيطالي "كارلو جولدوني" المسماة بنفس العنوان "البخيل" وهي ملهاة في فصل واحد، وله ملهاة أخرى بعنوان "البخيل المتبرج" بالإضافة إلى ملهاة ثالثة عنوانها "البخيل الغيور"[5] .

كما نجد موضوع البخل والبخلاء حاضرا في الكوميديا الإلهية للإيطالي دانتي أليغيري بعنوان "البخلاء في الجحيم"، وبعده الشاعر الروماني بلوتس صاحب مسرحية "قدر الذهب" وبطلها "أكلينون البخيل". وفي سنة 1606م، كتب الإسباني "بن جونسون" مسرحية بطلها "فلوبون" البخيل، وحملت هذه المسرحية اسمه. وكتب "سيريل تورر" سنة 1611م التراجيديا المسماة بـ "الملحد"، وبطلها البخيل "آمفيل"، كما كتب "كريستوف مارلون" مسرحيته "يهودي مالطا" سنة 1630م، ليصور فيها ملامح البخيل بأبعاد نفسية جديدة، وقد تأثر شكسبير بهذا العمل في مسرحيته "تاجر البندقية" وبالزاك في قصة "أنجينيه غراندية". وبعد هؤلاء، نلمح صورة البخيل في الأدب الروسي عند "بوشكين" في عمله "الفارس البخيل" سنة 1830م، وسار على نهجه "غوغول" في "النفوس الميتة" سنة 1842م. وفي الأدب الإنجليزي، نذكر "تاكيراي" الذي كتب كتاباً بعنوان "النفاجين" الذي يتقاطع مع بخلاء الجاحظ في نقاط عديدة.

3.2. البخل في الأدب العربي

عُرف العرب منذ عهد بعيد بكرمهم وسخائهم، وكانت هذه الصفة لصيقة بالعربي، وإذا حاد عنها أو ابتعد لاق من الذمّ في الأقوال ومن الهجاء في الأشعار. وقد حفلت المصادر التراثية الشعرية والنثرية بنصوص تهاجم البخل والبخلاء، تصور إمساكهم وتحكي تقتيرهم؛ ففي الشعر، كَثُر هجاء البخلاء ومدح الكرماء، "وفي باب الوصف نجد الشعراء قد تفننوا في وصف البخلاء، وتصويرهم، في أبشع صورة، مما يؤدي إلى تنفير الناس من هذا الخلق الذميم، بل إن بعض الشعراء قد رسم للبخلاء صوراً ساخرة أقرب ما تكون إلى فن الكاريكاتير المعاصر. وفي النثر العربي حديث واسع جميل عن البخل والبخلاء يتجلى ذلك في الرسائل والمقامات

والحكايات والمؤلفات..."[6]، حيث نجد أخبار البخل والبخلاء في الرسائل الأدبية وفي مقامات الهمذاني والحريري وفي أحاديث السمر وغير ذلك.

كما نجد مؤلفات مستقلة استفردت بالحديث عن البخل وأصحابه دون موضوع آخر. ولم يكن للجاحظ سبق التأليف في الموضوع كما يظن بعضهم، وإنما سبقه إلى ذلك العديد فـ "حركة التأليف في البخل والبخلاء في تراثنا العربي بدأت بأحاديث وروايات وحكايات جمعها الأصمعي وأبو عبيدة وغيرهما من رواة الشعر والأخبار ووردت مشتتة لكنها هي النواة الأولى لأخبار البخلاء وقصصهم"[7]. وبعد هؤلاء، جاء أبو عثمان الجاحظ، وكان كتابه "البخلاء" إنجازا عظيما في هذا الميدان. ويمكن القول إن التأليف في البخل قد نضج واكتمل في أحسن صوره على يد الجاحظ. أما من ألف في البخل بعده فهم كثر منهم: "ابن قتيبة يفرد في كتابه (عيون الأخبار) باباً، أو كما يسميه كتابا (للطعام) وفيه حكايات وأحداث وأشعار عن البخل والبخلاء، وكذلك يفعل أبو حيان التوحيدي في كتابه (الإمتاع والمؤانسة)، وابن عبد ربه الأندلسي حيث خص أخبار البخلاء بحديث طويل، وكذلك فعل أبو منصور الآبي في كتابه الكبير (نثر الدر) وشهاب الدين النويري في كتابه الموسوعي (نهاية الإرب) والأبشيهي في كتابه (المستطرف في كل فن مستظرف) وغيرهم"[8]. دون أن نغفل عما كتبه الراغب الأصفهاني في كتابه "محاضرات الأدباء" والأصمعي وأبو الحسن المدائني وسهل بن هارون وعبد الرحمان الثوري وأبي عبيدة وغيرهم. ولا يمكن أن نمر دون أن نذكر جهود الخطيب البغدادي في ذكر نوادر البخلاء، حيث خص هذه الفئة بكتاب مستقل بعد الجاحظ واختار له التسمية نفسها؛ فعرف هذا الكتاب ببخلاء البغدادي، لكنه لم ينل من الشهرة ما ناله بخلاء الجاحظ. كما نجد جمال الدين ابن المبرد الحنبلي الدمشقي يخصص بابا في كتابه للبخل والبخلاء عنونه بـ (إتحاف النبلاء بأخبار وأشعار الكرماء والبخلاء).

ومن أسباب حديث هؤلاء عن البخل الصراع القائم بين الأمويين والعباسيين حيث كانت الدولة العباسية تسعى إلى التمكين لنفسها والتخلص من أشباح الأموية، ومحق أنقاضها، محاولة بذلك اصطناع ضروب مختلفة من الدعاية، لتشويه صورتها، كاتخاذ بعض الشخصيات الأموية المعروفة كرمز للبخل، وتجسيد لصورة البخيل في المجتمع وغير ذلك. ومن بين الأسباب كذلك ظهور النزعة الشعوبية؛ فمنهم الذين طعنوا في العرب وقيمهم ووسموهم بالبخل، حيث كانوا يشككون في فخر العرب بكرمهم، ويقولون إن هذا الفخر ما هو إلا قول فقط، لا حقيقة له في الواقع، لأجل ذلك كانوا يتصيدون أخبار البخلاء ليؤكدوا أقوالهم. بالإضافة إلى أسباب ودوافع تتعلق بشخصيات أولئك الأدباء، وسعيهم إلى إظهار تأثير هذه الظاهرة على العلاقات الاجتماعية والأخلاقية الاقتصادية في المجتمع.

3.البخلاء في كتب التراث العربي

1.3. بخلاء الجاحظ[9]

كتاب أشهر من نار على علم، بل هو أشهر ما كُتب في موضوع البخل والبخلاء، لمؤلفه الجاحظ أحد أئمة البيان العربي. يقول عنه طه الحاجري محقق الكتاب أنه هو أفضل الكتب الفنية لأبي عثمان، هو

موسوعة أدبية واجتماعية يروي من خلالها أخبار بخلاء قابلهم في مسيرته، بالإضافة إلى شخصيات أخرى اختلقها من وحي خياله، والمدهش فيه أنه قام بوصف تلك الشخصيات بأسلوب واقعي وموضوعي يعتمد فيه على الملحة والطرفة، هذا المؤلَف هو وثيقة تصور الحياة الاجتماعية ومظاهرها في العصر العباسي، فضلا على أنه جوهرة أدبية فريدة، يتفنن فيها الجاحظ ويظهر فيها براعته اللغوية التي قل ما نجد مثلها، بالإضافة إلى أنه مرجع لفهم الحالة النفسية لفئة البخلاء، حيث استنبطنا من تلك القصص طبائعهم وطرائفهم، ومكرهم ودهائهم. كما أنه وثيقة جغرافية تضم العديد من أسماء البلدان والأماكن وأسماء لأشخاص مشاهير أو مغمورين؛ أي إنه عكس صورة مجتمعه بأبعاده الثقافية والاجتماعية والأدبية والسياسية والنفسية كلها، مزاوجا بين الجد والهزل. وقد قال ذلك في مقدمة كتابه: "ولك في هذا الكتاب ثلاثة أشياء: تبيُّن حجة طريفة، أو تعرف حيلة لطيفة، أو استفادة نادرة عجيبة، وأنت في ضحك منه إذا شئت، وفي لهو إذا مللت الجد"[10]؛ فنراه يعدد فوائد الضحك ويوظفه.

بدأ الجاحظ كتابه بتحديد موضوعه الذي تناول فيه كما قال: نوادر البخلاء واحتجاج الأشحاء، ثم بيّن الغرض من تأليفه، وهو "محاولة لاستعراض عيوب البخل الظاهر منها والخفي حتى يمكن تجنبها، والتخلص مما قد يكون الإنسان منها وهو لا يدري"[11]. أما عن دواعي تأليف الجاحظ لهذا المؤلف فأهمها كان الرد على الشعبويين الفرس الذين تطاولوا على العرب واستهتروا بالقيم الأخلاقية والاجتماعية. يقول جميل جبر: "إن الداعي من تأليفه هو الإشادة بجود العرب، وبيان مآثرهم بأسلوب تهكمي لبق"[12]، وكأن الجاحظ يلفت انتباهنا إلى الفروق العديدة بين العرب والفرس، في المأكل والمشرب والملبس والعادات والأخلاق. لذا، نراه يسقط صفة البخل على شخصيات ذات أصل فارسي في الغالب. ومن أسباب تأليفه للبخلاء هو ظهور الطبقة البرجوازية في المجتمع العباسي، وهناك فئة من هذه الطبقة يكتمون بخلهم ويتظاهرون بالكرم لينافسوا الطبقة الأرستقراطية العربية [13]. وقد صرح الجاحظ بأنه قد اعتمد في مادة البخلاء على مصدرين: "أحدهما ملاحظته الشخصية عن البخلاء وتجاربه معهم، والثاني الروايات التي انتهت إليه، من أخبارهم على وجهها أي دون أي تدخل فيها بحذف أو تغيير"[14].

يفتتح الجاحظ كتابه برسالة سهل بن هارون، ثم بطرف أهل خراسان، لإكثار الناس في أهل خراسان كما يقول هو، ومن تلك القصص مثلا: "يقول المروزي للزائر إذا أتاه، وللجليس إذا طال جلوسه، تغديت اليوم ؟ فإن قال نعم، قال: لولا أنك تغديت لغديتك بغداء طيب، وإن قال لا، قال: لو كنت تغديت لسقيتك خمسة أقداح. فلا يصير في يده على الوجهين قليل ولا كثير"[15]. ووردت قصص وطرائف كثيرة لأهل خراسان والمروزيين خاصة، ثم أردف تلك القصص بقصة أهل البصرة من المسجديين، الذي اجتمعوا في مؤتمر عام للبخلاء: "اجتمع ناس في المسجد ممن ينتحل الاقتصاد في النفقة، والتثمير للمال من أصحاب الجمع والمنع، وقد كان هذا المذهب عندهم كالنسب الذي يجمع على التحاب، وكالحلف الذي يجمع على التناصر، وكانوا إذا التقوا في حلقهم تذاكروا هذا الباب وتطارحوه وتدارسوه التماسا للفائدة واستمتاعا بذكره"[16]. وبدأ مشايخ المؤتمر بنثر دررهم، بداية بقصة مريم الصناع، ومعاذة العنبرية وهي مثال حي في

الاقتصاد المنزلي، وكيف يمكن للمرأة المدبرة أن تستفيد من كل شيء وأن تضعه في موضعه المناسب تجنبا للإسراف والتبذير والتفريط في الأشياء.وغيرها... وهؤلاء أصحاب مذهب تقشفي عميق في الادخار، ويستمر في سرد أخبار البخلاء دون أن يضع ترتيبا مقصودا للقصص والنوادر، جاءت متتالية دون رابط عقلي بينها، وهي تختلط بين البخل على النفس والبخل على الأقارب والبخل على الأصدقاء والبخل في المال والزاد والبخل في المشاعر.

وبعد مؤتمر البخل يروي لنا مجموعة من القصص والمواقف التي حدثت مع زبيدة المصرفي، ومن ذلك قصته عندما سكر فوهب صديقا له قميصاً، فخاف الصديق أن يعود زبيدة عن هبته لما يصحو من سكرته، فأسرع به إلى زوجته التي جعلته ثوبا لها، وفي الصباح أراد زبيدة أن يستعيد القميص قائلا: "أ ما علمت أن هبة السكران وشراءه وبيعه وصدقته وطلاقه لا يجوز ؟ ردّه إليّ حتى أهبه لك صاحيا عن طيب نفس، فإني أكره أن يذهب شيء من مالي باطلاً" وبعد إصرار منه وتصميم اعترف له الصديق بأنه أهدى القميص إلى زوجته وجعلت منه ثوباً عن طريق تعديله، ورغم ذلك طلبه زبيدة وقال لا بأس يصلح لزوجتي كما يصلح لزوجتك. وبقي الصديق يتماطل فقال زبيدة صدق من قال: جُمع الشر كله في بيت وأُغلق عليه فكان مفتاحه السكر[17]. وهذه القصة تجسد قمة البخل والإصرار عليه مع الجميع.

ثم قصة ليلى الناطعية التي تظهر الحيل التي يلجأ إليها البخلاء من أجل الإفلات من المواقف، ثم قصص أحمد بن خلف عن الميراث وتقسيمه، والدعوة إلى ملة البخل كما يقول، ثم حديث خالد بن يزيد في إنكار وتجاهل حق الضيف، وبعد ذلك أخبار أبي جعفر الطرطوسي وتجسيده لشخصية البخيل المقتر في تناول الطعام، وقصص الحارثي التي نستخلص منها كيفية استخدام الحيل من أجل تبرير آراء البخلاء، والدفاع عن صفة البخل، ومذهبهم في التقشف، وقصة الكندي التي تجسد المكر والحيل مع الأهل والجيران وهو مؤجر للعقارات في البصرة، وقصة الثوري التاجر الذي يضيق على أولاده في عيشهم رغم سعة كسبه من التجارة، ومن القصص قصة محفوظ النقاش صديق الجاحظ الذي دعاه إلى داره على غير عادته؛ فقبل الجاحظ دعوته ليقف على نموذج عملي للبخل، وما لبث البخيل أن عاد إلى طبعه؛ فماطل وراوغ الجاحظ، وحاوره ليردعه عن أكل مال البخيل، لكن الجاحظ يتلذذ بذلك فنراه يتقدم إلى الأكل دون استحياء وهو مستغرق في الضحك، ليقول في النهاية "لقد أكلته جميعا وما هضمه إلا الضحك والسرور"[18]، وذلك من معرفة الجاحظ لفوائد الضحك وأثره على صحة البدن.

والجاحظ بتقديمه لهذه النماذج، يركز على النوع الذي يمكن وجوده في العديد من المجتمعات، وهم الأغنياء والمقتدرون على المال وحديثو النعمة، لا الفقراء والمعدومون الذين يقترون لسوء أحوالهم، حيث يقول في هذا الصدد: "وإنما نحكي ما كان في الناس وما يجوز أن يكون فيهم مثله...وقد عاب ناس أهل المازح والمدبر بأمور، وأهل المازح لا يعرفون بالبخل، ولكنهم أسوأ الناس حالاً، فتقديرهم على قدر عيشهم، وإنما نحكي عن البخلاء الذين جمعوا بين البخل واليسر، وبين خصب البلاد وعيش أهل الجدب، فأما من يضيق على نفسه لأنه لا يعرف إلا الضيق، فليس سبيله سبيل القوم"[19]. هؤلاء الأثرياء لم يرحموا أنفسهم، ومظهر

البخل على النفس يجسده مثلا صديقه اليزيدي[20] وغيره، ولم يرحموا أمهاتهم كحديث أم فيلويه[21]، وأبناءهم ونموذجه الثوري الذي يقدم لأولاده وصية نادرة يحثهم فيها على تناول ما لا يمكن تناوله، مع ذكر فوائده الصحية والنفسية والمالية، كقوله: "لا تلقوا نوى التمر والرطب وتعودوا على ابتلاعه، وخذوا حلوقكم بتسويغه، فإن النوى يعقد الشحم في البطن، ويدفئ الكليتين بذلك الشحم، والله لو حملتم أنفسكم على البذر والنوى وعلى قضم الشعير واعتلاف القت، لوجدتموها سريعة القبول"[22]. ولا يقتصر البخل على هؤلاء وإنما يصل إلى الحياة الزوجية، كبخل أبي القماقم الذي ذهب لخطبة امرأة، وراح يسأل عن مالها ويحصيه؛ فسأله أهل البنت عما يملكه هو فقال لهم: وما سؤالكم عن مالي ؟ الذي لها يكفيني ويكفيها[23]. كما نجد البخل على الخدم الذي يظهر في قصة خالد بن صفوان مثلا حين جاءه خادم له بطبق من خوخ؛ فلما وضعه بين يديه، قال: لولا أني أعلم أنك قد أكلت منه لأطعمتك واحدة[24]. بالإضافة إلى البخل على الأقارب والأصدقاء ويجسد ذلك نماذج كثيرة ومتعددة.

لذلك، فإن هذه القصص والنوادر التي جاء بها الجاحظ بطريقة طريفة هزلية تدفع المتلقي إلى التربية السليمة ونقد الواقع الاجتماعي. ومن ثمّ، اعتبره العديد كمرجع تربوي وعلمي لأنه يكشف عن طبائع وسلوك ونفوس فئة من البشر.

2.3. بخلاء الخطيب البغدادي[25]

من نفائس كتب التراث العربي كتاب البخلاء للخطيب البغدادي، الذي ألفه بعدما انتشرت حركة التأليف في قصص ونوادر البخلاء، وجمع أخبارهم. ولعل الخطيب أراد أن يتطرق كسابقيه وخاصة الجاحظ لنفسيات البخلاء وميولاتهم وفلسفتهم، في تحف أدبية فنية نادرة، مزاوجا بين الجد والهزل؛ فجاء بالأخبار الممتعة التي تطرب الأذن لسماعها وتعجب العين عند قراءتها، وذلك لبراعة البغدادي في وصف بخلائه، ودقة تصويره لهم، أما ميزة البغدادي في التأليف أنه محدِّث كبير ومؤرخ عظيم، وهذا الذي نلحظ أثره في ذكره لنوادر البخلاء واحتجاج الأشحاء. "وقد نحا الخطيب البغدادي في كتابه البخلاء نحوا جديدا يختلف عن بخلاء الجاحظ، فبينما كانت النزعة الفنية تسيطر على بخلاء الأول، نجد النزعة التأريخية وطريقة الرواية تسود كتاب الخطيب"[26]؛ فالجاحظ كان أديبا، والخطيب كان مؤرخاً؛ فطغى على بخلائه أسلوب المؤرخين. لذلك، حرص الحرص كله على ذكر السند لكل خبر من تلك الأخبار، كما جمع الخطيب في كتابه هذا أحاديث عن النبي في ذم البخل والكثير من الآثار والأشعار، وهو يورد ذلك بأسانيده. وقد أخرج المحقق الأحاديث، وشرح الألفاظ الغريبة، خاصة في بدايته، حيث بدأ بالأخبار الواردة عن الرسول صلى الله عليه وسلم، في ذم البخل ومدح السخاء، والأسخياء والبخلاء وطعامهم.

الكتاب مكون من ستة أجزاء، افتتحه في الصفحة الأولى بالآية الكريمة "وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَ فِي سَبِيلِ الله فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ"[27]. وقد خصص الجزء الأول من الكتاب للبخل في الأحاديث النبوية، وكيف أن الرسول صلى الله عليه وسلم يستعيذ منه، وينفيه عن نفسه، وكيف أن الرسول صلى الله عليه وسلم يصف البخل بالداء العويص، وأن البخيل بغيض إلى الله تعالى، بعيد عن الله،

لا يدخل الجنة. أما الجزء الثاني فركز فيه على البخل والشح، وما ورد بينهما من فروق لغوية واصطلاحية، كما ذكر الأحاديث التي ذكر فيها الشح بالإضافة إلى أقوال الصحابة الميامين عنه، ثم انتقل في الجزء ذاته إلى ذكر المأثور عن المتقدمين في ذم البخل والباخلين. وهنا، جاء بأقوال القدامى من لغويين وقضاة وأئمة وغير ذلك في البخل. أما الجزء الثالث من كتابه فسماه: فصل وصف الفضلاء مواعيد البخلاء، وأورد فيه أبيات من الشعر في الموضوع، كقول العنقزي:

فما جار الزمان ولا تعدى ولكن أهله مُسخوا كلابا

مواعدهم مواعد كاذبات إذا حصلتها كانت سرابا[28]

بالإضافة إلى العديد من الأبيات التي تصف البخلاء وتخلفهم عن مواعيدهم. ويقول عن عبد الله بن غنام:

منيتني الباطل حتى إذا أطمعتني في ملك قارون

جِئتَ من الليل بغسالة تغسل ما قلت بصابون[29]

فهؤلاء فئة تعد وتمني ثم تخلف وعدها، تدعو الغير إلى المأكل والمشرب ثم ترجع عما قالته، ويختم الجزء بقول أبي الحسن علي بن نصر مما أنشده في بعض البخلاء ممن وعده وأخلف:

أوعدتني عدة ظننتك صادقا فجعلتُ من طمعي أجيء وأذهب

فإذا حضرت أنا وأنت بمجلس قالوا مسيلمة وهذا أشعب[30]

بعد ذلك، انتقل إلى الجزء الرابع من الكتاب، وقد خصصه لثلاثة فصول، الأول فصل من مدحَ بخيلا رجاء عطائه ثم أعقب مديحه بذمه وهجائه. ويأتي على ذكر بيت عبد الله بن القاسم لابن الرومي مثلا:

إذا ما مدحتَ الباخلين فإنما تذكرهم ما في سواهم من الفضل

فتهدي لهم غما طويلا وحسرة فإن منعوا منك النوال فبالعدل

وغير ذلك من الأبيات في هذا المقام، ثم اختتم الفصل بذكر حديث محمد بن البشير الذي قال: "كان والٍ بفارس قد احتجب بجهده إذ نجم شاعر بين يديه، فأنشده شعراً مدحه فيه، فلما فرغ قال: قد أحسنت، ثم أقبل على كاتبه فقال: أعطه عشرة آلاف درهم، قال: ففرح الشاعر فرحا كاد أن يستطير به، فلما رأى حاله قال: وإني لأرى هذا القول قد وقع منك هذا الموقع، يا فلان اجعلها عشرين ألفا، قال: فكاد الشاعر يخرج من جلده، قال: فلما رأى فرحه قد تضاعف، قال: وإن فرحك ليتضاعف على تضاعف القول، يا فلان أعطه أربعين ألف درهم، فكاد الفرح يقتله، قال: ولما رجعت نفسه إليه قال له: جُعلت فداك، كلما رأيتني قد ازددت فرحا تزيدني في الجائزة، ثم دعا له وخرج، قال: فأقبل عليه كاتبه، فقال: سبحان الله، هذا يرضى منك بأربعين درهما، تأمر له بأربعين ألف درهم ؟ قال الوالي: أوَتريد أن تعطيه شيئا ؟ إنما هذا رجل سرنا بكلام وسررناه بمثله، فهو حين يزعم أنني أحسن من القمر وأشد من الأسد، وأن لساني أقطع من السيف، جعل في يدي شيئا أرجع به ؟ أليس يعلم أنه قد كذب، ولكن قد سرنا حين كذب علينا، ونحن أيضا نسره بالقول، وإن كان كذبا فيكون كذبا بكذب"[31]؛ فهذه كانت فلسفة الوالي البخيل، فالكذب مقابل الكذب جائز، وأما أن يكون الحق مقابل الكذب فهذا هو الخسران الكبير في نظره.

وفي الفصل الذي تلاه من هذا الجزء والمعنون بـ: فصل من استضاف رجلا فساء قراه فحمله ذلك على أن ذمّه وهجاه، وجاء فيه بعدة قصص وأخبار وأشعار من بينها قول أحمد بن الفضل سندانة عن عبد الله بن المعتز:

عوَّذَ لمّا بتُّ ضيفا له أقراصه بُخلا بياسينِ

فبتُّ والأرض فراشي وقد غنت (قفا نبك) مصاريني [32]

والفصل الثالث من الجزء ذاته سماه: أخبار مستظرفة لجماعة من البخلاء. وفيه، أورد قصة البخيل الذي يستغل الدين والعبادة لصالحه ولحماية ماله، من الطامعين كما يتوهم، فبعد أن قام بدعوة ضيوفه، يلزمهم أن يحلفوا بالله أنهم قد شبعوا مما قدمه لهم من مقبلات قبل أن يحضر الطبق الرئيس وهو الجدي المشوي، ويتوصل إلى ذلك بأساليب ملتوية، وبعد أن يتم له ذلك يتفرغ لأكله هو دون غيره، أمنا على طعامه وشرابه، فالذي أقسم اليمين على أنه شبع في بيته، لا يمكن أن يمد يده إلى الطعام، وإلا لكان حانثاً في يمينه، وهكذا استغل البخيل الحلف. وفي هذا الفصل قصص عديدة غير هذه القصة، وبعد ذلك انتقل إلى الجزء الخامس وجزأه بدوره إلى فصلين: الأول منهما سماه: "فصل وقد كثر الهجاء بالبخل على الطعام"، وفيه ذكر قصة بخل أهل طوس حيث يقول إن أبخل أهل خراسان هم أهل طوس، ولبخلهم أمر الوالي أن يضرب كل واحد منهم وتدا في المسجد، وحين يأتي الضيف فعلى أي وتد علق ثوبه أو سوطه يكون قراه عليه، وكأن البغدادي وغيره قد جعل للبخل وطنا وهو طوس وخراسان، كما فعل الجاحظ بمرو، الثاني منهما سماه: فصل المذكورون بأنهم أبخل الناس، وخصصه لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم "البخل عشرة أجزاء، فتسعة في فارس وواحد في الناس" وشرحه.

والجزء السادس والأخير من الكتاب جعله من فصلين أيضاً؛ الأول : فصل مذهب البخلاء فيما جمعوه أن الحزم لا ينفقوه، وفيه جاء بنماذج فريدة من الممسكين المانعين، الذين يحسبون أن السخاء خطر على مالهم، فالمهم لديهم دوام المال واستقراره. ومن ذلك مثلا، حديث أبي العميس البخيل الذي كان إذا أخذ الدرهم نقره، وقال: كم من يد وقعت فيها، ومن بلد دخلته، اسكن وقرّ عينا، فقد استقرت بك الدار، واطمأن بك المنزل[33]. وفيه، أيضا، حديث البخيل الذي تناول أكلة الطباهجة" فمرض ونزل به كرب الموت فاستعان بجار له يمتهن الطب، فطلب منه أن يتقيأ ما أكل لكي يستريح، فرفض البخيل وقال: هاه أتقيأ طباهجة بيض؟ أموت ولا أتقيأ طباهجة بيض أبداً؛ فالبخيل هنا ولشدة بخله يفضل تحمل الألم الذي يكاد يودي بحياته على أن يطرح ما تناوله، وكأنه سوف يبقى داخله إلى الأبد. وفي موضع آخر يقول: "قال رجل من البخلاء لغلامه: هات الطعام وأغلق الباب، فقال هذا خطأ، بل أغلق الباب وآتِ بالطعام، قال: أنت حر لعلمك بالحزم." وفصل ثانٍ يحمل عنوان: ما ينبغي أن يتيقنه من بخل بإنفاق المال أنه لوارثه، إن سَلم من حادث في الحال. وفي الفصل بعض القصص والمواقف والأحاديث عن المال منفوق والمال الموروث، وعن مصير المال المكدس والمكنوز وذهابه لغير البخيل من ورثته بعد مماته.

3.3. البخلاء في كتاب إتحاف النبلاء بأخبار وأشعار الكرماء والبخلاء لابن المبرد الحنبلي[34]

وهذا كتاب آخر في الأدب والملحة، جمع فيه المصنف بعض أخبار الشعراء عن البخل والبخلاء، اختارها من طبائعهم وصفاتهم وأحوالهم وأقوالهم، جمع شواردها من كتب الأدب المتفرقة، ومحصول هذا الكتاب ما هو إلا راحة للنفس وترفيه للروح في واحة طلاقة اللسان، وحسن البيان، كتابه صغير الحجم لكنه يحمل من القيم الأخلاقية والأدبية والجمالية الكثير، كتاب صغير لا يرقى إلى مستوى كتاب الجاحظ ولا مستوى كتاب الخطيب البغدادي إلا أنه يضم أشعاراً وقصصا وتحليلات لغوية[35]. ووجد هذا الكتاب على شكل رسالة مخطوطة ضمن مخطوطات دار الكتب المصرية، بخط صاحبها وجامعها ابن المبرد جمال الدين، في ثماني عشرة ورقة.

قسم الفقيه الحنبلي ابن المبرد كتابه إلى خمسة أبواب، الأول منها عنونه بـ: "الإسلام دين البذل والكرم" يدعو من خلاله إلى البذل والإنفاق ونبذ الإمساك والبخل، ومكانة أصحاب النفوس السخية والأكف الندية في الإسلام. لكن، وبالمقابل، نجده يدعو من خلال هذا الباب إلى التعقل في الإنفاق وعدم المبالغة فيه حتى يصل حد الإسراف؛ فيقول: "واعلم أنه من الواجب المحتم على المسلم أن يقتصد في مطالب نفسه حتى لا يستنفذ ماله كله"[36]. أما الباب الثاني فقد وسمه بـ: "الكرم هو الإيمان والطاعة" وفصل هنا في مسألة الكرم وعلاقته بطاعة الله تعالى، فعمق لنا معنى الكرم وخرج به عن مراده التقليدي، حيث جعل الشخص الذي ينفق في ويعطي لوجه الله تعالى مكللا بحسن النية، ينتقل بكرمه هذا إلى أخلاقيات وآداب يصل بها إلى الإيمان الكامل، وقد أورد في هذا الباب آيات قرآنية عديدة وأحاديث نوبية يدلل بها على صدق قوله، ثم انتقل إلى الباب الثالث وعنونه بـ: "أشتات لغوية" افتتحه بتعريف البخل في المعاجم التراثية، ثم البخل في القرآن، ثم تطرّق إلى مفهوم الكرم في اللغة، والفرق بينه وبين البذل، ثم انتقل إلى تبيان الفروق اللغوية بين البخل والشح، وبعد ذلك انتقل إلى الباب الرابع وعنونه بـ"الكرم في الشعر العربي" وأورد فيه أشعار العرب التي قيلت عن الكرم والسخاء، ثم جاء إلى الباب الأخير وهو ما يهم في هذا المقام وقد عنونه بـ "البخل في الشعر العربي القديم" .

افتتح هذا الباب بذم هذه الصفة القبيحة التي طالما التصقت بالإنسان، وصارت تجري فيه كمجرى الدم في العروق؛ فتتحول إلى جزء من طبعه وسجيته، ثم وصف البخل بأنه مرض كأنه معدٍ، يجعل الشحيح منبوذا فيبتعد عنه ندماؤه وأحباؤه، ويهجره أصحابه ورفاقه، ثم جاء على ذكر نوادر بعض البخلاء التي يتناقلها العامة والخاصة، ليستخلص القارئ منها الحكمة والتسلية والمتعة والمنفعة، يظهر من خلالها الاعوجاج الذي أصاب طبيعة البخيل، ثم يبدأ ببيت للأعشى يقول فيه:

تبيتون في المشتى ملاءً بطونكم وجاراتكم غرثى يبتن خمائصا[37]

والمعنى من هذا البيت أن شيوع الكرم عند العرب، لا ينفي بخل بعضهم، ومن بين الأبيات التي ذكرها قول زهير:

ومن يك ذا فضل، فيبخل بفضله على قومه يستغن عنهم ويذمم [38]

وقول الهذلي الأعلم:

إن سيادة الأقوام فاعلم لها صعداء مطلبها طويل
أ ترجو أن تسود ولا تعنى وكيف يسود ذو الدعة البخيل

ويعقب على هذين البيتين؛ فيقول: إن تنفير العرب من البخل لدليل على وجوده، وإلا لماذا يهجونه وينفرون منه، إن الداعين إلى الخير والمنفرين من الشر إنما ينفرون من شر واقع في المجتمع، ونقول ذلك لنثبت أن البخل كان موجود فعلا، وها نحن نقرأ أبيات الهذلي الذي يرى أن طريق السعادة صعب المرتقى، وأصعب ما فيه أن يكسر الراغب في السيادة حرصه على المال[39]. ومن بين الأبيات التي أورد ذكرها نذكر على سبيل المثال قول الأعشى:

ما النيل أصبح زاخرا في مده جادت له ريح الصبا فجرى لها
يوما بأجود نائلا منه إذا نفس البخيل تجهمت سؤالها

كما يقول عروة بن الورد داعيا أمير الصعاليك خصمه بالبخل:

وإني امرؤ عافى إنائي شركة وأنت امرؤ عافى إنائك واحد
أ تهزأ مني إن سمنت وأنت ترى بوجهي شحوب الحق والحق جاهد
أقسم جسمي في جسوم كثيرة وأحسو قراح الماء والماء بارد[40]

4.3. البخلاء في كتاب المستطرف في كل فن مستظرف للأبشيهي[41]

يعتبر كتاب المستطرف، لشهاب الدين الأبشيهي، من أشهر كتب الأخبار التراثية، وهو كتاب ممتع وسمير مؤنس يضم أخلاقيات وأدب وأخبار العرب، يجمع بين دفتيه مقتطفات مما جادت به قرائح العرب، ما يهذب النفس ويصقل الفكر، ويروّح عن الروح، يهدف إلى تنمية الفضائل الإنسانية في النفوس، ينتقي من كل فن ظريف ويستدل على مضامينه من القرآن الكريم والحديث الشريف، فيه لطائف عديدة من منتخبات الكتب المفيدة، وقد وشحه بالأمثال والحكم، ونمقه بالقصص والنوادر والأشعار، "جمع في مؤلفه كل ما أسعفته به ذاكرته من نوادر الأخبار والأشعار والخطب والكلام الحسن...وجعله مشتملا على أبواب عدتها أربعة وثمانون"[42].

قسم الأبشيهي كتابه إلى أبواب كما سبق ذكره، والأبواب بدورها مقسمة إلى فصول، وليست كل الأبواب كذلك، أولها في مباني الإسلام وفيه خمسة فصول، وختامها في فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم. وما يهم ذكره في هذا المقام هو الباب الرابع والثلاثون من أبواب الكتاب، ووسمه بـ: "في البخل والشح وذكر البخلاء وأخبارهم وما جاء عنهم". وقد أسبق هذا الباب بما هو عكس له، وهو باب "في الجود والسخاء والكرم ومكارم الأخلاق واصطناع المعروف وذكر الأمجاد وأحاديث الأجواد". أما باب البخل، فقد افتتحه بالآية الكريمة: "الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُم اللهُ مِنْ فَضْلِهِ"[43]، وبقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "إياكم والشح، فإن الشح أهلك من كان قبلكم" وقوله صلى الله عليه وسلم:

"البخل جامع لمساوي القلوب وهو زمام يقاد به إلى كل سوء." ثم أتى على ذكر بعض بخلاء العرب؛ فقال: "وقيل بخلاء العرب أربعة، الحطيئة وحميد الأرقط وأبو الأسود الدؤلي، وخالد بن صفوان، فأما الحطيئة فمر به إنسان وهو على داره وبيده عصا، فقال أنا ضيف، فأشار إلى العصا وقال: لكعاب الضيفان أعددتها، وأما حميد الأرقط فكان هجّاءً للضيفان فحّاشاً عليهم، نزل به مرة أضيافا فأطعمهم تمرا وهجاهم، حتى أكلوه بنواه، وأما أبو الأسود فتصدق على سائل بتمرة، وكان يقول: لو أطعنا المساكين في أموالنا كنا أسوء حالاً منهم، وأما خالد بن صفوان فكان يقول للدرهم إذا دخل عليه يا عيّار، كم تعير وكم تطوف وتطير، لأطيلنّ حبسك، ثم يطرحه في الصندوق ويقفل عليه، وقيل له لم لا تنفق ومالك عريض، فقال: الدهر أعرض منه"[44]. وهؤلاء أشهر البخلاء في رأيه، يبخلون ويقترون على أنفسهم وعلى غيرهم، ولا يهدأ لهم بال إلا إذا أمسكوا دراهمهم، دون أن يستشعروا ما في ذلك من هوان وصغار.

ثم ذكر بخل عمر بن يزيد الأسدي، وكيف أنه يجمع الدهن الذي ينزل من بطنه فينير به السراج، ووصف بخل الخليفة المنصور، في قصته مع الشاعر الذي مدحه فوهبه نصف درهم. كما ذكر من البخلاء أبا العتاهية ومروان بن أبي حفصة وبعض مواقفهما. ومن الموصوفين بالبخل في المستطرف أهل مرو؛ فيقول فيهم مثلا: "قيل لبعضهم: أما يكسوك محمد بن يحي؟ فقال: والله لو كان له بيت مملوء إبراً وجاء يعقوب ومعه الأنبياء شفعاء والملائكة ضمناء، يستعير منه إبرة ليخيط بها قميص يوسف الذي قُدَّ من دبر ما أعاره إياها فكيف يكسوني ؟" [45]؛ فضرب مثلا عن الخياط ابن يحي وعن شدة حرصه على ماله وممتلكاته حتى ولو طُلبت منه إعارة لا هبة، ثم أتى على ذكر المتنبي وبخله؛ فقال: "كان المتنبي بخيلا جدا مدحه إنسان بقصيدة فقال له: كم أملت منّا على مدحك؟ فقال: عشرة دنانير، قال له: لو ندفت قطن الأرض بقوس السماء على جباه الملائكة ما دفعت لك دانقاً" والدانق هو سدس الدرهم، ثم تحدث عن رؤساء أهل البخل كما وصفه وهو محمد بن الجهم "وهو الذي قال وددت لو أن عشرة من الفقهاء وعشرة من الخطباء، وعشرة من الشعراء، وعشرة من الأدباء، تواطؤوا على ذمي واستهلوا شتمي حتى ينتشر ذلك في الآفاق فلا يمتد إليّ أمل آمل، ولا يبسط نحوي رجاء راجٍ"[46]. وذكر غير هؤلاء الكثير من البخلاء ، بنوادرهم وأخبارهم الشهيرة، وما ذكره عنهم كفاية لنا لإدراك مدى تمسكهم بتلك الخصلة الذميمة المكروهة التي تمنعهم من البذل والعطاء لتصل أحيانا إلى درجة الشح، حتى على النفس والولد، فكم من هؤلاء مكنز المال على نفسه، جائع لا يأكل كغيره، عارٍ لا يلبس كغيره، مريض لا يتداوى كغيره من الناس، وإيمانا من المؤلف بمبدأ النهي عن المنكر أورد لنا أمثلة كثيرة من بخلاء العرب، وعرض لنا أخبارهم في تهكم ونقد مريرين.

5.3. البخلاء في كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه[47]

العقد الفريد من أمهات الكتب العربية ونوادرها، موسوعة من موسوعات التراث العربي، يضم جملة من الأخبار والمواعظ والأمثال والحكم والأشعار؛ فجمع فيه مجموعة من النصوص الأدبية الشعرية والنثرية، ما بين حكمة مأثورة أو مثل سائر أو قول مشهور، بالإضافة إلى الأخبار التاريخية، وما كان سائدا في مجتمعه. يقول في مقدمة كتابه: "وقد نظرت في بعض الكتب الموضوعة، فوجدتها غير متصرفة في فنون

الأخبار، ولا جامعة لجمل الآثار، فجعلت هذا الكتاب كافيا شافيا، جامعا لأكثر المعاني التي تجري على أفواه العامة والخاصة، وتدور على ألسنة الملوك والسوقة، وحليت كل كتاب منها بشواهد من الشعر، تجانس الأخبار في معانيها، وتوافقها في مذاهبها، ليعلم الناظر في كتابنا هذا أن لمغربنا على قاصيته وبلدنا على انقطاعه حظا من المنظوم والمنثور"[48].

جزأه صاحبه إلى أبواب عدة، وأطلق على كل باب من الأبواب اسم حجر كريم، وباجتماع الأبواب تكوّن لديه عقد من الأحجار الكريمة، كالزبرجدة والمرجانة والياقوتة والجمانة والؤلؤة، وأنفس هذه الحبات الثمينة هي واسطة الكتاب، وقد سماها "واسطة العقد". وفي مقدمة كتابه، قال عن تسمية هذا الكتاب: "وسميته كتاب العقد الفريد لما فيه من مختلف جواهر الكلام، مع دقة السلك وحسن النظم، وجزأته إلى خمسة وعشرين كتاباً، كل كتاب منها جزآن، فتلك خمسون جزءاً، وقد انفرد كل كتاب منها باسم جوهرة من جواهر العقد"[49].

وما يهمنا من جواهر ذلك العقد ما جاء به في الجزء السابع، من أخبار عن البخل والبخلاء في الكتاب الثالث منه والذي سماه "الجمانة الثانية في المتنبيين والممرورين والبخلاء والطفيليين"، وافتتحه بالحديث عن مدعي النبوة، وأتبع ذلك بالحديث عن الممرورين والمجانين وأهل العي المشبهين بالمجانين، ثم وصل إلى أخبار البخلاء، وابتدأها بالحديث عن أهل مرو، حيث قال إن الناس قد أجمعوا على بخل أهل مرو ثم أهل خراسان، وكيف أن ديك مرو يدعو الدجاج إلى الحب في كل بلدة إلا ديك مرو فإنه يأكل وحده، فعلم من ذلك أن لؤمهم في المآكل. واستمر في ذكر أحاديث البخلاء والمشاهير منهم كمثل هشام بن عبد الملك "قال خالد بن صفوان: دخلت على هشام بن عبد الملك فأطرفته وحدثته، فقال: سل حاجتك. فقلت يا أمير المؤمنين تزيد في عطائي عشرة دنانير، فأطرق حينا وقال: فيم ؟ ولِمَ ؟ وبِم ؟ ألعبادة أحدثتها ؟ أم لبلاء حسن أبليته في أمير المؤمنين ؟ ألا يا ابن صفوان لو كان لكثر السؤال، ولم يحتمله بيت المال، فقلت وفقك الله يا أمير المؤمنين وسدد خطاك، فأنت والله كما قال أخو خزاعة:

إذا المال لم يوجب عليك عطاءَه صنيعة قربى أو صديق توافقه

منعت وبعض المنع حزم وقوة ولم يستلبك المال إلا حقائقه

ثم قيل لابن صفوان ما حملك على تزيين البخل له ؟فأجاب: أحببت أن يمنع غيري فيكثر من يلومه"[50]. وأورد بعد ذلك ذكر بخل عبد الله بن الزبير، الذي كانت تكفيه أكلة لأيام، وكان دائم القول: إنما بطني شبر في شبر. فما عسى أن تكفيه أكلة. ثم تحدث عن بخل محمد بن الجهم وبخل ابن أبي حفصة وغيرهم...وحدثنا عن قصص أبي الأسود الدؤلي في البخل ومن ذلك قصته مع الأعرابي الذي ووقف عليه وهو يأكل فسأله الأعرابي: أدخل ؟ فقال الدؤلي وراءك أوسع لك، قال الرمضاء أحرقت رجلي، فقال بُل عليهما تبردان، قال: أتأذن لي أن آكل معك ؟ قال سيأتيك ما قدّر لك، قال: تالله ما رأيت رجلا ألأم منك، قال: بلى إلا أنك نسيت، ثم أقبل أبو الأسود يأكل، حتى إذا لم يبق في الطبق إلا تميرات يسيرة، نبذها له، فوقعت تمرة منه، فأخذها الأعرابي ومسحها بكسائه، فقال أبو الأسود: إن الذي تمسحها به أقذر من الذي تمسحها له، قال: كرهت أن أدعها

للشيطان، قال لا والله، ولا لجبريل ولا لميكائيل ما كنت لتدعها"[51]. كما جاء على ذكر طعام البخلاء، ومن ذلك "حضر أعرابي سفرة هشام بن عبد الملك فبينما هو يأكل إذ تعلقت شعرة في لقمة الأعرابي، فقال له هشام: عندك شعرة في لقمتك يا أعرابي، قال: وإنك لتلاحظني ملاحظة من يرى الشعرة في لقمتي، والله لا أكلت عندك أبدا، وخرج وهو يقول:

للموت خير من زيارة باخل يلاحظ أطراف أطراف الأكيل على عمد"[52]

ثم جاء بالعديد من الأبيات مما قالته الشعراء عن طعام البخلاء، بالإضافة إلى حجج هؤلاء الواهية، وختم الكتاب برسائل سهل بن هارون في البخل؛ ففي هذا الكتاب نرى ابن عبد ربه يسبر أغوار نفوس البخلاء، ويحدد بعض الأسباب التي أدت إلى الاعوجاج في تلك النفوس وحبها للدرهم والدينار، وعشقها لتكنيزه ، بأساليب اقتصادية رهيبة، مقدما من خلال هذه القصص دروسا حية ومواعظ فكاهية ومظهرا من مظاهر ثقافة ذلك العصر، ليصل إلى قرابة الخمسين نادرة من نوادر البخلاء.

6.3. البخلاء في كتاب الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي[53]

كتاب من عيون الأدب العربي، من أشهر الكتب التراثية البديعة، يضم مسامرات حوالي أربعين ليلة، جمعت التوحيدي بالوزير أبي عبد الله العارض، وزير ابن عضد الدولة البويهي، في منادمة شيقة طريفة ونافعة في الوقت ذاته، هو كتاب مؤنس ممتع كاسمه، مكون من ثلاثة أجزاء يسلط الضوء على حياة الخلفاء والأمراء والوزراء في النصف الثاني من القرن الرابع، وما كان يدور في مجالسهم ويجري على ألسنة ندمائهم وشعرائهم من أخبار وأحاديث وخصومات وجدال وشراب وأنس وقصص ونوادر. وجاء نمط تأليف الكتاب على شكل ليال، تشبه ليالي ألف ليلة وليلة، لكنه لا يشبهها في مضمونها، وضم الكتاب موضوعات عديدة أهمها: ـ المناظرة الشهيرة بين أبي سعيد السيرافي ومتى بن يونس حول المفاضلة بين المنطق اليوناني والنحو العربي ـ موضوع رسائل إخوان الصفا وقضية تأليفها ـ موضوع المفاضلة بين النثر والشعر ـ موضوع المصادر وأوزانها وهو موضوع في الصرف العربي ـ موضوع إحصاء القيان العاملات في ملاهي الكرخ. وغيرها من الموضوعات الأخرى التي تتراوح بين الجد والهزل. وكتب الكتاب دون ترتيب أو تبويب، بطلب من الوزير الذي كان يسأل والتوحيدي يجيب لهذا أدرج الكتاب في أدب المسامرات.

يقول محقق الكتاب أحمد أمين: "وموضوعات الكتاب متنوعة تنوعا ظريفاً، لا تخضع للترتيب ولا التبويب، إنما تخضع لخطرات العقل، وطيران الخيال، وشجون الحديث، حتى لنجد في الكتاب مسائل من كل علم وفن، فأدب وفلسفة وحيوان ومجون وأخلاق وطبيعة وبلاغة وتفسير وحديث وغناء ولغة وسياسة وتحليل شخصيات لفلاسفة العصر، وأدبائه وعلمائه وتصوير للعادات وأحاديث المجالس وغير ذلك مما يطول شرحه"[54]. وأسلوب الكاتب هو أن يخوض في موضوع من اقتراح الوزير؛ فيجيبه على ما اقترح، حتى إذا أراد الوزير الخلود إلى النوم سأل أبا حيان "ملحة الوداع" وقد تكون هذه الملحة شعراً. "وطبيعة الكتاب متنوعة الطرح، مختلفة المشارب...ونمط هذا التأليف يرجع إلى موسوعية أبي حيان، ومشاركته في كثير من العلوم"[55].

وكان من بين موضوعات تلك المسامرات ما دار على لسان بخلاء زمانه، ونجدها في نهاية الجزء الثاني وبداية الجزء الثالث، في ليلتين وهما الليلة الحادية والثلاثين والثانية والثلاثين التي افتتحها بعبارة: "ثم ترامى الحديث إلى أمر المطعمين والطاعمين، والذين يهشون عند المائدة، والذين يعبسون، ويجمون ويطرقون، والذين يصخبون ويلغطون ويضجرون ويتغاضون"[56]؛ فأورد فيها بعض الأحاديث في البخلاء وقبل ذلك ذكر آيات من التنزيل العزيز التي تنهى عن البخل، وكذا بعض الأحاديث النبوية الشريفة في الحث على الكرم والنهي عن الشح والتقتير، ثم ذكر من القصص العديد، كقوله "قيل لبخيل ما حدّ الشبع: قال الشبع حرام كله، وإنما أحل الله من الأكل ما نفى الخوى وسكن الصداع، وأمسك الرمق، وحال بين الإنسان وبين المرح، وهل هلك الناس في الدين والدنيا إلا بالشبع، والتضلع والبطنة والاحتشاء، والله لو كان للناس إمام لوّكل بكل عشرة منهم من يحفظ عليهم عادة للصحة، وحالة العدالة حتى يزول التعدي، ويفشوَ الخير"[57].

ومن قصص البخلاء التي أوردها في كتابه هذا ما جاء عن أبي الأسود الدؤلي الذي مر به مسكين ليلا وهو ينادي جائعا؛ فأدخله أبو الأسود وأطعمه، ثم انصرف، فأوصى غلامه أن يتبعه، فإن رآه يسأل مجددا ردّه إليه، وفعل ذلك فعلا، فأمر بحبسه حتى لا يروع مسلما في الليل ولا يكذب مجددا، وفي الصباح خلى سبيله وقال: لو أطعنا السُّؤَّال صرنا مثلهم[58]. وفي حديث آخر عن الدؤلي أنه سمع دابة له تعتلف في جوف الليل فقال: إني لأراك تسهرين في مالي والناس نيام، والله لا تصبحين عندي، وباعها. ثم قال التوحيدي عن أب الأسود الدؤلي "وأبو الأسود يُعد في الشعراء والتابعين والمحدثين والبخلاء والمفاليج والنحويين والقضاة والعرّج والمعلمين"[59]. كما حدثنا بحديث زوجة البخيل التي بشرت زوجها بأن ابنها منه قد اتغر (واتغر الولد بمعنى نبت ثغره) فقال: أتبشريني بعدو الخبز، اذهبي إلى أهلك[60]. ثم أورد لنا ذكر خبر بخل عثمان بن رواح الذي طلب منه رفيقه شراء اللحم حيث قال: "امض إلى السوق فاشتر لنا لحما، قال: والله ما أقدر، فمضى الرفيق واشترى اللحم من ماله، ثم قال لعثمان: قم الآن فاطبخ القدر، فقال: والله ما أقدر، فطبخها الرفيق، ثم قال قم الآن فأثرد، فقال: والله إني لأعجز عن ذلك، فثرد الرفيق، ثم قال: قم الآن فكل، فقال: والله قد استحيت من كثرة خلافي عليك ولولا ذلك ما فعلت"[61].

من خلال هذه النماذج وغيرها ينكر المؤلف على هؤلاء البخلاء إمساك أموالهم والبخل بها على أنفسهم وأهلهم وغيرهم، محذرا الوزير الذي يسامره بطريقة غير مباشرة من الوقوع في ما وقعوا من المنع والإمساك، عن طريق ذكر أحاديث الأجواد في مقابل أحاديث البخلاء، في عصره وعند من سبقه، فمجتمعه يرفع الجواد ويعلي من شأنه، ويتصدى للبخل وينفر منه، وقد كان للقرآن الكريم والأحاديث النبوية والأشعار ومثل هذه الأخبار التي أوردها أثر كبير في ذلك. كما أشار في أحاديثه إلى بعض أسباب البخل، الذي صار سجية متأصلة في نفوسهم، وأقوى سبب في رأيه خوفهم من الفقر والحاجة، هو الذي دفعهم إلى تجميد أموالهم، والحرص على الجمع والتخزين ولو كان ذلك بطريقة غير شرعية.

4. خاتمة

نستخلص مما سبق ما يلي:

ـ البخل عبارة عن حالة شعورية كامنة أو مضمرة في ذوات شخصيات حقيقية وخيالية وظفها كل من تحدث عن هذه الظاهرة، في رسائل مثقلة بالنقد تارة والترهيب تارة والاستعطاف أحيانا، فالجاحظ والبغدادي وغيرهم ممن ذكرنا سابقاً لم ينظروا إلى البخل على أنه ظاهرة اجتماعية فحسب بل وسيلة لمجابهة أفكار سامة في مجتمعهم، ملمحين ومصرحين بخطورة هذه الظاهرة، داعين إلى ضرورة إعمال العقل في تدبير حياة الإنسان.

ـ يظهر هؤلاء الكتاب في بعض الأحيان بمظهر علماء النفس، حيث إنهم شعروا بمعاناة المتلقي في تلك الفترة من ضغوط نفسية تحتاج إلى ترويح، فجاءوا بهذه النوادر من أجل المتعة والمنفعة في الوقت ذاته.

ـ أخذ التأليف في البخل والبخلاء منحيين اثنين، المنحى الأول منحىً فني تسيطر عليه النزعة الفنية البحتة كما فعل الجاحظ مثلا، إذ جعل من البخل فناً قائما مستقلا، يحتذى به، والمنحى الثاني هو منحى تأريخي تسوده طريقة الرواية، كما فعل الخطيب البغدادي.

ـ من بين كتب التراث العربي التي تناولت موضوع البخل والبخلاء لا يوجد بضخامة بخلاء الجاحظ، ثم يليه بخلاء الخطيب البغدادي، وبعدهما تأتي بقية الكتب سواء جعلت من نوادر البخلاء موضوعا رئيسا لها كإتحاف النبلاء لابن المبرد الحنبلي، أو خصصت لهذه الظاهرة بابا من أبوابها كما جاء في مستطرف الأبشيهي أو العقد الفريد لابن عبد ربه، أو الإمتاع والمؤانسة للتوحيدي وغيرهم.

ـ تشترك في دراسة كتب البخلاء وقصصهم ونوادرهم تخصصات عدة، كعلم النفس حيث يجد المختصون فيه مجالا رحباً لدراسة نفسيات البخلاء المريضة، وعلم الاجتماع، حين يدرس المختصون فيه الآثار التي تترتب على البخل في العلاقات الاجتماعية، وعلم التربية الذي يدرس عواقب البخل وتأثير البيئة البخيلة على تربية الأبناء. وعلم الاقتصاد الذي يدرس عواقب البخل على تنمية الثروة الفردية. وغير ذلك... وقانا الله وإياكم شر البخل.

الهوامش

[1] ابن منظور، لسان العرب، تح: عبد الله علي كبير وآخرون، ط1، دار المعارف، القاهرة، دت، ص222.

[2] محمد رضا خضري، سيكولوجية البخل عند الجاحظ، مجلة الممارسات اللغوية، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر،العدد 30، 2014، ص215.

[3] باهية سعدو، سيمياء البخل في كتاب البخلاء للجاحظ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر، 2010، ص14، 15.

[4] الجاحظ، البخلاء، تح: طه الحاجري، ط5، دار المعارف، القاهرة، دت، 240، 241.

[5] ينظر: محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، دار العودة، بيروت، لبنان، دط، 1983، ص165،164.

[6] محمد عبد الرحمان الربيع، نوادر البخلاء، نصوص ودراسة، ط1، دار الشروق، القاهرة، 1999، ص53.

[7] المرجع نفسه، ص55.

[8] المرجع نفسه، ص 56.

[9] الجاحظ الكنانى هو أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب بن فزارة الليثي الكناني البصري 776م-868 م أديب عربي كان من كبار أئمة الأدب في العصر العباسي، ولد في البصرة وتوفي فيها أخذ علم اللغة العربية وآدابها على ابي عبيدة مؤلف كتاب نقائض جرير والفرزدق، والأصمعي الراوية المشهور صاحب الأصمعيات وأبي زيد الأنصاري، ودرس النحو على الأخفش، وعلم الكلام على يد ابراهيم بن سيار بن هانئ النظام البصري. كتب الجاحظ ما يقارب 360 مؤلفا. منها البخلاء، البيان والتبين، الحيوان المحاسن والأضداد، وغير ذلك.

[10] أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البخلاء، ص5.

[11] المصدر نفسه، ص23.

[12] جميل جبر، الجاحظ في حياته وأدبه وفكره، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، دط، دت، ص94.

[13] ينظر شارل بلات، الجاحظ في البصرة وبغداد وسامراء، تر: ابراهيم الكيلاني، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر، دمشق، ط1، 1961. ص334.

[14] حامد طاهر، ظاهرة البخل عند الجاحظ، حولية مركز البحوث والدراسات الإسلامية، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، العدد 9، 2009، ص205.

[15] أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البخلاء، ص17.

[16] المصدر نفسه، ص29.

[17] ينظر: المصدر نفسه، 36.

[18] المصدر نفسه، ص111.

[19] المصدر نفسه، ص26.

[20] ينظر: المصدر نفسه، ص40.

[21] ينظر المصدر نفسه، ص79.

[22] المصدر نفسه، ص65.

[23] المصدر نفسه، ص57.

[24] المصدر نفسه، ص81.

[25] أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت المعروف بالخطيب البغدادي مؤرخ عربي ولد سنة 392هـ 1002 م– بالمدائن، ونشأ في بغداد، توفي سنة 463هـ 1071م، له مصنفات كثيرة تبلغ ستة وخمسين مصنفا، ومن أشهر مؤلفاته هي كتابه تاريخ بغداد الذي جمع فيه ترجمة العلماء الذين عاشوا فيها حتى أواسط القرن الخامس الهجري. وقد أَلَّف الخطيبُ في علوم الحديث ومن أشهرِ كُتبه في المصطلح كتابان؛ كتاب في قوانينِ الرواية، وهو كتاب" الكفاية في علم الرواية"، و كتاب "الجامع لآداب الشيخ والسامع."

[26] الخطيب البغدادي، البخلاء، تح: أحمد مطلوب، خديجة الحديثي، دار سطور للنشر والتوزيع، بغداد، ط1، 1964، ص10.

[27] سورة التوبة، الآية 34.

[28] الخطيب البغدادي، البخلاء، ص140.

[29] المصدر نفسه، ص141.

[30] المصدر نفسه، ص142.

[31] المصدر نفسه، ص158.

[32] المصدر نفسه، ص162.

[33] المصدر نفسه، ص216.

[34] جمال الدين يوسف بن حسن بن أحمد بن حسن بن عبد الهادي الصالحي 840هـ 909 - هـ (1503 - 1436) / المشهور بابن المِبْرَد الحنبلي، هو من فقهاء الحنابلة، ولد في الصالحية بدمشق من مؤلفاته: إتحاف النبلاء، والدرر الكبير، والنهاية في اتصال الرواية، وتاريخ الإسلام، والميرة في حل مشكلة السيرة وغير ذلك.

[35] ينظر محمد عبد الرحمان بديع، نوادر البخلاء، ص57.

[36] جمال الدين ابن المبرد، إتحاف النبلاء بأخبار وأشعار الكرماء والبخلاء، تح: عبد الغني البشري، مكتبة ابن سينا للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة، دط، دت، ص11.

[37] المصدر نفسه، ص67.

[38] المصدر نفسه، ص76.

[39] المصدر نفسه، ص68.

[40] المصدر نفسه، ص68.

[41] هو شهاب الدين أبو الفتح محمد بن أحمد بن منصور الأبشيهي المحلي، نسبته إلى قرية أبْشيه (أبشواي) من قرى الفيّوم .أقام في المحلة، ورحل إلى القاهرة غير مرة، واستمع إلى دروس جلال الدين البُلقيني .درس الفقه والنحو وولي خطابة بلدته بعد أبيه. توفي سنة 852 هـ، وقيل سنة 850 هـ أشتهر بتصنيف كتاب «المستطرف» وغلبت الطرافة وضَعْف اللغة على آثاره. وله غير المستطرف كتاب «تذكرة العارفين وتبصرة المستبصرين» و«أطواق الأزهار على صدور الأنهار». كما شرع في تأليف كتاب «في صنعة الترسل والكتابة»

[42] شهاب الدين الأبشيهي، المستطرف في كل فن مستظرف، تح: محمد خير الحلبي، دار المعرفة، بيروت لبنان، ط5، 2008، ص5.

[43] سورة النساء الآية 37.

[44] المصدر نفسه، ص249.

[45] المصدر نفسه، ص250.

[46] المصدر نفسه، ص 255.

[47] هو أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه شاعر أندلسي، وصاحب كتاب العقد الفريد ولد في قرطبة سنة 246، وتوفي فيها سنة 328،أمتاز بسعة الاطلاع في العلم والرواية والشعر. كتب الشعر في الصب والغزل، ثم تاب وكتب أشعارًا في المواعظ والزهد سماها "الممحصات" كما كان من الرواد في نشر فن الموشحات، من أبرز مؤلفاته: العقد الفريد، أمثال العرب، سحر البيان، أبناء النور، طبائع النساء. .

[48]أحمد ابن عبد ربه، العقد الفريد، تح: عبد المجيد الترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1983، ج1، ص5.

[49] المصدر نفسه، ص7.

[50] الصدر نفسه، ص196.

[51] الصدر نفسه، ص206

[52] المصدر نفسه، ص203.

[53] هو أبو حيان التوحيدي 414 - 310هـ / 922 - 1023 ولد في بغداد وتوفي في شيراز، فيلسوف متصوف، مسلم وأديب بارع، من أعلام القرن الرابع الهجري، عاش أكثر أيامه في بغداد وإليها ينسب .وقد امتاز أبو حيان بسعة الثقافة وحدة الذكاء وجمال الأسلوب، اشتهر بتأليف الامتاع والمؤانسة، والبصائر والذخائر، والصداقة والصديق، وأخلاق الوزيرين، والمقابسات، والهوامل والشوامل وتقريظ الجاحظ، والإشارات الإلهية.

[54] أبو حيان التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، تص: أحمد أمين، دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، دط، دت، ص:س.

[55] ظافر بن مشبب الكيلاني، تشظي الأنا عند أبي حيان التوحيدي الإمتاع والمؤانسة أنموذجا، مجلة مقاليد، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، العدد 11، ديسمبر 2016.

[56] أبو حيان التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، ج3، ص1.

[57] المصدر نفسه، ج3، ص21.

[58] المصدر نفسه، ج3، ص33.

[59] المصدر نفسه، ص33.

[60] المصدر نفسه، ص50.

[61] المصدر نفسه، ص40.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

1. المصادر

1. أبو حيان التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، تص: أحمد أمين، دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، دط، دت.
2. أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البخلاء، تح: طه الحاجري، دار المعارف، القاهرة، ط5، دت.
3. أحمد ابن عبد ربه، العقد الفريد، تح: عبد المجيد الترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1983، ج1.
4. جمال الدين ابن المبرد، إتحاف النبلاء بأخبار وأشعار الكرماء والبخلاء، تح: عبد الغني البشري، مكتبة ابن سينا للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة، دط، دت.
5. الخطيب البغدادي، البخلاء، تح: أحمد مطلوب، خديجة الحديثي، دار سطور للنشر والتوزيع، بغداد، ط1، 1964.
6. شهاب الدين الأبشيهي، المستطرف في كل فن مستظرف، تح: محمد خير الحلبي، دار المعرفة، بيروت لبنان، ط5، 2008.

2. المراجع

1. باهية سعدو، سيمياء البخل في كتاب البخلاء للجاحظ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر، 2010، ص14، 15.
2. جميل جبر، الجاحظ في حياته وأدبه وفكره، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، دط، دت.
3. حامد طاهر، ظاهرة البخل عند الجاحظ، حولية مركز البحوث والدراسات الإسلامية، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، العدد 9، 2009،
4. شارل بلات، الجاحظ في البصرة وبغداد وسامراء، تر: ابراهيم الكيلاني، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر، دمشق، ط1، 1961.
5. ظافر بن مشبب الكيلاني، تشظي الأنا عند أبي حيان التوحيدي الإمتاع والمؤانسة أنموذجا، مجلة مقاليد، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، العدد 11، ديسمبر 2016.
6. محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، تح: عبد الله علي كبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، ط1،دت.
7. محمد رضا خضري، مقال سيكولوجية البخل عند الجاحظ، مجلة الممارسات اللغوية، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر،العدد 30، 2014،
8. محمد عبد الرحمان الربيع، نوادر البخلاء، نصوص ودراسة، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1999.
9. محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، دار العودة، بيروت، لبنان، دط، 1983.

EISSN : 2710-8643 **ISSN** : 2602-7585

مجلة إحالات في اللغة والأدب